هوديني الساحر

من اشهر مَن عرف بالسحر والشعوذة في هذا العصر هوديني الاميركي المتوفى حديثاً الذي اقى من ضروبهما ما ادهش الابصار وخلب الالباب غير انهُ لم تجمح بهِ مقدرتهُ العجيبة الى الادعاء بما ليس فيهِ بل كان من ممدوح صفاتهِ انهُ اقرَّ بان اعمالهُ السحرية جسمها تجرى بمقتضى النواميس الطبيعية المعروفة . ولم يقف عند هذا الحد بل انهُ شهر حرباً عواناً على المدعين بالباطل والقائلين بنجاة الارواح واساط الشام عن كثير من خزعبلاتهم

وقد بدت فيهِ علائم موهبتهِ الخارقة منذ نعومة اظفارهِ . وذاع صيتهُ على مرّ الزمن فما لبث ان سمي ملك الاغلال لاشتهارهِ بالتخلص من اي غلّ تصفد بهِ يداهُ . فلم يبق مكان من اماكن التنكيل في اميركا الاَّ اعتلاهُ آتياً من ضروب الحيل ما تعجز عن ادراكهِ الافهام . ثم غادر اميركا الى اوربا سنة ١٩٠٠ فقصد سكوتلاند يارد محل البوليس السري الانكليزي فلم يدع شرطتهُ غلاً من الاغلال الاَّ كبلوهُ بهِ فانفلت منها جميعاً بمهارة طيّرت ذكرهُ في عرض البلاد . وظل في اوربا ستة اعوام يتنقل في عواصمها ويحيّر الناس بحذقهِ المتناهي في التخلص من القيود والاصفاد

ثم عاد الى اميركا فاذا ذكرهُ قد سار في الآفاق وشهرتهُ قد ملأت البلاد . وكان اتجاه افكار الناس اليهِ وازدياد اقبالهم عليهِ فيّه فيهِ ما كمن من قواهُ العجيبة واستنزهُ للابداع في اتيان الغرائب . فغادر عام ١٩٠٨ خدعهُ اليدوية الى ما هو اخطر منها واعزّ منالاً . فكان يحبس في وعاء مملوء ماء لا يدخلهُ الهواء موضوع في صندوق حديدي مقفل . فلا يلبث ان يخرج منهُ في هنيهة وجيزة

ومن خوارقهِ التي لم يتوصل احد الى اظهار مكنونها اختراقهُ الجدران المتينة . فطالما فعل ذلك على مرأى الجماهير من سكان نيويورك ومن لجنة تراقب اعمالهُ لمنع الاحتيال . فكان يشيّد جداراً من الآجرّ في منتصف المسرح قاسماً اياهُ الى قسمين بحيث يرى الحضور كليهما . فبعد ان تفحص اللجنة الجدار وتحقق عدم وجود باب سرّي او وسيلة اخرى تمكّنهُ من اجتيازهِ يبادئها هوديني الى الوقوف حيال الجدار ثم يوثق بستار طولهُ نحو ست اقدام ويوضع حول هوديني ويقام ستار آخر ملاصق للجدار من الجهة الثانية . فلا يكاد هوديني يلوّح بيديهِ من فوق الستار الاول هاتفاً « ها أنذا هنا » حتى يتبع

ذلك بقوله « والآن قد انتقلت » فيزاح الستار الاول فلا يوقف له على اثر . ثم يزاح الستار الثاني فاذا به هناك يبسم على مرأى الجموع المحتشدة المتحيرة . وهذه الحيلة قد حيرت كل من شهدها حتى ان اعاظم المشعوذين انفسهم بعد ان راقبوا هوديني يخترق الجدار مراراً على هذا المنوال اقروا بعجزهم عن اظهار خفاياها

والمشعوذين في اميركا جمعية تضم منهم نحواً من الف وخمس مئة . وجميع هؤلاء يعترفون به ملكاً عليهم . ويروى انهُ في احدى حفلات هذه الجمعية السنوية نصب عموداً بين كرسيين تبعد الواحدة عن الاخرى قدمين ونصف قدم . ثم اوماً الى احدهم ان يمشي بين الكرسيين فاعترف بعدم استطاعته ذلك لاعتراض العمود دون مبتغاه . فالحَّ عليه هوديني فمشى متردداً وسار حتى اتى الكرسيين فمشى بينهما قاطعاً العمود كأن لم يكن هناك . فاتسعت حدقة عيونهم وقفروا افواههم دهشاً واستغراباً

ومن خوارقه التي اشتهر بها افلاتهُ من اناء الماء المختوم . فكان بعد ان تكبَّل يداهُ ورجلاهُ تكبيلاً محكماً يدلى رأساً على عقب في أناء زجاجي ضيق مملوء ماء . ثم يسحب الحبل المستخدم لانزاله و يختم الاناء ختماً مضبوطاً فبينما هذا حالهُ اذا به ولم يمض نصف دقيقة قد عاد الى المسرح طليق الاطراف والماء يقطر منهُ

ومن مظاهر حذقه ان شرطة ديترويت عرّوهُ مرةً من ثيابه واوثقوا يديه وراء ظهره بالاغلال الفولاذية وقيدوا رجليه عند الركبتين بالسلاسل الحديدية ثم غادروهُ في حجرة من الفولاذ اوصد بابها ايصاداً محكماً . فلم يلبث ان نجا

ومنذ سنين احدث هوديني ضجة عظيمة في مدينة نيويورك إذ جُرّد من ثيابه وحُبس بسجن في جنوب المدينة وجعل اصحابهُ يطوفون بالسجن حذراً من إفلاته . فما مضى ربع ساعة من الزمن حتى راح يدعوهم على التلفون من فندق في منتصف المدينة حيث ظهر مرتدياً ثيابهُ رغماً عن ان المسافة بين المكانين وحدها يستغرق اجتيازها اكثر من الوقت المذكور

ولهوديني مؤلفات جمة في السحر والشعوذة وما يلف لفهما وانما يغلب على ظن البعض ان هوديني فارق هذه الحياة دون ان يخلف ما يستدل منهُ على اسرار حيله العجيبة . كما انهُ لم يتوصل احد من مناهضيه الكثيرين الى ادراك كنه خوارقه ومنها ما قد مضى عليه عشرون سنة دون ان يستطيع احد فكَّ مشاكلهِ ومن هذا القبيل افلاتهُ من قفص الحديد الذي كان قد حُبس فيه قاتل الرئيس غارفيلد في سجن واشنطون . وليست حيلهُ في الافلات من السجون والتملص من القيود لتقاس بالعجائب التي حيَّر العقول بها في اواخر سنيه

وانما هو حري بالاعجاب والثناء الذي هوديني ما استخدم قط قواهُ الغريبة للشر والرذيلة والتضليل بل كان دائماً يناوئ الباطل ويكافح الدعوى الفارغة بكل ما اوتيهِ من نبوغ وقوة . يحكى ان مجرماً نجا من السجن وقصدهُ راجياً الخلاص من اغلال كانت تكبل يديهِ فما كان من هوديني الاَّ ان سلمهُ الى اولي الامر رافضاً ما عرضوا عليهِ من المكافأة

ومما يروى عنهُ انهُ زار مرة جزائر فيجي اثناء سياحتهِ حول الارض . فشهد الفيجيين يغوصون في البحر وراء قطع النقود التي كان يطرحها السياح لهم في الماء . ثم يطفون والقطع في افواههم مدَّعين انهم التقطوها باسنانهم . فانكر هوديني عليهم دعواهم ذاهباً الى انهم كانوا يتناولون النقود بايديهم ثم ينقلونها بخفة الى افواههم . وتأييداً لرأيهِ طلب الى احدهم مباراتهُ في هذا المضمار فلم يسعهُ الاَّ التلبية . فقيِّدت يداهُ ويدا هوديني ثم غطسا في الماء يقتفيان اثر قطعة ذهبية . فتخلص هوديني وهو وسط الماء من قيودهِ والتقط القطعة ووضعها في فمهِ ثم اعاد القيود الى يديهِ كما كانت وعلا فوق الماء . اما الغوَّاص الفيجي فعاد بالخيبة الممزوجة بالدهشة والحيرة

وقدم نيويورك احد المشعوذين وادعى انهُ يستطيع البقاء في تابوت مغموس في الماء ساعة كاملة . فنازلهُ هوديني في الرابع من اغسطس الماضي فلا قبلا يتباريان في هذا الميدان لم يستطع ذلك المشعوذ البقاء في الماء اكثر من تسع عشرة دقيقة . واما هوديني فانهُ ظل فيهِ تسعين دقيقة . وكان ذلك المشعوذ يدعي ان فيهِ قوى خارقة للطبيعة . واما هوديني فانهُ كشف طرقهُ واظهر للملأ ان كل امرىء يقوى على ذلك باستنشاق الهواء المحصور في التابوت انفاساً صغيرة تُخللها فترات استبقاء للاكسجين مدة طويلة

والحرب العوان التي شهرها هوديني على المدجالين والقائلين بمناجاة الارواح اثارت عليهِ ثائرة كثيرين كما انها احكمت روابط الصداقة بينهُ وبين كثيرين يجيبون بهِ ويشيدون بذكرهِ . ومن جملة الذين اخلصوا لهُ المودة السر آرثر كونان دويل الشهير مؤلف شرلوك هولمز فقد كانت تربطهما اواصر الصداقة المتينة رغماً عن اختلافهما العظيم من حيث الاعتقاد بمخاطبة الارواح

ومن الادلة الساطعة على الاثر الخالد الذي خلفهُ هوديني في نفوس الاميركيين كونهم قد صاغوا فعلاً من اسمهِ وادرجوهُ في معاجمهم وهو هوَّدَن (houdinize) بمعنى تملَّص من القيود والسجون وما اشبه ابراهيم دادا